المعتقل البحريني السابق محمد طوق للوفاق:

النظام البحريني يحكم الشعب بالنار والحديد وشهداؤ

الوفاق/ خاص
أمل محمد شبيب

حكايا البحرين وشعبها ومناضليها حكايا غنية بالعزة والكرامة، ومليئة بالألم والأمل والغربة والسجن وظلم السّجان ومرارة السجن، لن ولم يعرف تفاصيلها إلاّ من كان ضحية السجون البحرينية وسجّانيها وقيادتها...فيها من القوة والضعف والمعتقلين والشهداء ما يؤكد أن طريق ذات الشوكة طريق مليء بالصعوبات، لكنهم، هم المعتقلون، يرون أن الألم في جنب الله بلسم عذب، وأن الحق والسير على طريق الرسالة السماوية يتطلب الصبر وتحمل المصاعب إلى أن تتحقق رسالة الله في الأرض، فإما "أن نكون على هذا الطريق بكل صعوباته أو نكون من المتخاذلين عن طريق الرسالة وهو ما لم يكن ولن يكون"...
في لقائنا اليوم سنتعرف معكم على حكاية الوطن والـ
من أحداث عاشها المناضل البحريني محمد طوق خلا
داخل سجن جو المركزي في البحرين حتى وصوله الى
الإيرانية بعد نجاح عملية سيوف الثأر، وهي العم

سيوف الثأر: الحرية أمامنا والقضبان وسياط السجّان تلفنا...

الـ١٤ من فبراير، ثورة رفض ضد التمييز الطائفي وبداية جديدة لمواجهة السجن والسجّان

محمد إبراهيم آل طوق، من جزيرة سترة منطقة واديان، العمر ٣١ سنة، أعيش الآن في مدينة قم المقدسة في إيران ، مطلوب الى نظام آل خليفة على خلفيّة قضايا سياسية تخص ثورة ١٤ فبراير، محكوم بأكثر من ٧٠ سنة وصدر في حقي سنة ٢٠١٧ حكم الإعدام رمياً بالرصاص، وصدر حكمان بإسقاط الجنسية البحرينية، بهذه البطاقة الشخصية بدأ حديثنا مع المعتقل السابق محمد طوق، وهو واحد من شعب شريف وعظيم رفض الذلّ والإستسلام الذي مارسه ولا يزال آل خليفة بحق شعب لم يرسوى الظلم والتمييز الطائفي من حكومة البحرين، يضيف طوق بأن عموم الشعب البحريني ومنذ نعومة الأظافر وهو يسمع ويشاهد ظلم آل خليفة وتمييزهم الطائفي، وأنا منذ صغر سني عايشت بعض أحداث التسعينات، وكان بعض أفراد عائلتي معتقلين على خلفيات سياسية في التسعينات، فكنا ولا زلنا نكبر على ظلم آل خليفة الذي لا يُحتمل، بل أن آل خليفة يزدادون يوماً بعد يوم في طغيانهم وظلمهم وسلبهم حقوق الشعب البحريني، حتى تاريخ ١٤ فبراير يوم إنطلاق الثورة وشاركت الشعب البحريني نضالهم ونزلت الى الشارع ورابطت مع أبناء بلدي في ميدان الشهداء في أكبر تجمع للشعب البحريني للمطالبة بحقوقه المنزوعة، ومنذ مشاركتي مع شعبي بالوقوف مع الحق ضد الباطل، استمريت في مواجهة هذا النظام الفاسد، الى أن أصبحت مطلوباً من جهاز أمن الدولة أنا ومن معي من أصدقائي، وكانت تتم مداهمة منزل والدي ومنازل أصدقائي بشكل يومي ومستمر من قِبَل أمن الدولة، ولكن كل هذا لم يجعلنا نتراجع ونتخلف عن المطالبة بحقوق الشعب المنهوبة، إلى أن تم أعتقالي وإعتقال كل أصدقائي، وتم وضعنا في السجن بيّن الجدران والحديد المليئة بالظلم والإضطهاد، وهنا لم تنته الحكاية، بل كانت بداية جديدة لحكاية جديدة في مواجهة السجن والسجان..

غدر قوات النظام البحريني أمام رفع الشعارات السلمية في دوّار اللؤلؤة

سُحُب الثورة الشعبية تتراكم في سماء البحرين، وتزينها قبضات الشباب الثائر في الشوارع، هي مظاهرات سلمية قادها الثوّار طلباً لحقوق ادنى ما يُقال عنها حقوق انسانية ومشروعة، وهنا يقول محمد طوق: "مع بداية انطلاق الثورة في البحرين، كان المشهد صادماً لـ"آل خليفة ورعاياها"، أكثر من نصف الشعب البحريني نزل الى الشارع ورفع مطالبه في وجة العائلة الحاكمة، ولا أُبالغ إن قلت أنه في بداية انطلاق الثورة كان المشهد راقياً جداً من الشعب البحريني، حملوا شعارات السلمية، واعتصموا بكل تنظيم، ولكن هذا المشهد أرعب آل خليفة، فكان خيار الغدر هو الحل الوحيد لديّهم، هاجموا المعتصمين في ميدان الشهداء " دوار اللؤلؤة " عند الفجر، حتى تحول المشهد إلى ألم ووجع عميق في وقتها، فقد كان النساء والأطفال والشيوخ متواجدين في ميدان الشهداء، ووسط الظلام والهدوء وبينما كان معظم المعتصمين نائمين، هاجمت قوات المرتزقة ميدان الشهداء برصاص الشوزن وغيرها من الأسلحة، وإرتفعت صيحات النساء والأطفال، لكن الشباب الثائر تصدّى الى قوات المرتزقة امام المشاهد الدامية التي عشناها في تلك الأيام، كانت سيارات الاسعاف تنقل الشباب الى المستشفيات رغم إمتلاء بعضها بالجرحى كمستشفى السلمانية وغيرها، إضافة الى سقوط اربعة شهداء بعد هجوم قوات آل خليفة على كل من كان يطالب بأدنى حقوقه في بلد مليء بالخيرات، ولكن للأسف كل خيرات هذا البلد الصغير تذهب الى العائلة الحاكمة.

فالمكان بالنسبة للإنسان البحريني هو الوجود، وهو الأرض والوطن والبلاد والسكن والتراب، هناك حيث تتربى الحواس على الفطرة والذكريات

سجن جو "مقبرة الأحياء"... ذكريات مُرّة ومؤلمة

حشود غاضبة كانت جزءاً من ملايين المؤمنين بسورة المقاومة، يتطلعون إلى يوم الخلاص، كانت الحشود تسير وتترقب الفتح والنصر المبين، ومن بين الحشود تم إعتقال محمد طوق، الشاب العشريني في ذلك الوقت، يقول طوق:"بعد اعتقالي بقيت في مبنى أمن الدولة أكثر من ١٦ يوماً معصوب العينين ومقيد اليدين والرجلين بسلاسل حديدية، وكان مسلسل التعذيب يبدأ من بعد المغرب حتى خروج الشمس من الشرق، كنت في لحظات التعذيب أتمنى الموت لكي أرتاح من هذا العذاب، إنهم وحوش بشريّة لا يمتلكون الرحمة، وكأن مبنى أمن الدولة محجوب عن نظر الله في عيونهم، بعد أن خلصت المدة نقلوني الى سجن جو المركزي، وهذا السجن للأشخاص المحكومين، بعد وصولي الى سجن جو إعتقدت أن مسلسل التعذيب قد إنتهى، ولكن كانت المفاجأة تنتظرني في ذلك السجن، إستقبلوني إستقبالاً حافلاً، أدخلوني الى إدارة سجن جو وأنا كنت أظن بأن مجيئي الى الادراة فقط لإستكمال إجراءات الحكم وإخباري عن المبنى الذي سأنقل إليه... تم إدخالي الى غرفة صغيرة كان يتواجد فيها ٦ أشخاص، لكن العجيب في الأمر إنهم كانوا من جنسيات مختلفة، من باكستان واليمن والأردن، ما إن وضعت قدمي داخل هذه الغرفة حتى اغلقوا الباب من خلفي، وانقض السجناء عليّ جميعهم باللكمات على وجهي وجسمي، كان أحدهم من الجنسية الباكستانية إسمه محمد عارف، رفعني ورماني على الجدار، اصطدم وجهي بالجدار وشج حاجبي من قوة الصدمة، وبدأ الدم يملأ وجهي، غير أن كل هذا لم يمنعهم من إستمرار التعذيب، بقيت على هذا الحال ثلاث ساعات حتى تم إخراجي بعد مسلسل من المعاناة والتعذيب كنت لا استطيع المشي على أقدامي، خرجت من الغرفة وأنا أزحف على الأرض من كثرة ما تعرضت له من ألم وتعذيب.

السجانون هم أعتى البشر والمعتقلون يواجهون سياسة الموت البطيء

نعود في الذاكرة مع محمد طوق الى العذابات داخل السجن، فهذه الذاكرة الحيّة تسجّل كل ما يجده المرء مهماً، كما تسجل الصوت والطعم والرائحة، رغم مرور كل هذه السنوات

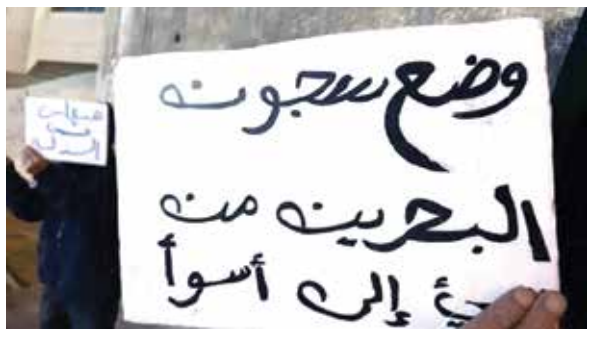

، تبقى بعض الحوادث والأحداث تشعّ في ذاكرة الشاب محمد، وهنا يتحدث طوق عن انواع العذابات التي يعيشها المعتقل داخل سجون البحرين بين قضبان السجن وظلم السجان قائلاً: "المعتقلون في البحرين لا يعيشون عذاباً عادياً، بل يتعرضون الى ألم العذاب المستمر في سجن جو المركزي، فهم أولاً لم يقوموا بأي جرم لكي يكونوا في هذا المكان الموحش، إنما أُناس طالبوا بحقوقهم المشروعة، فلماذا يكونون في هذا المكان ؟!!
اليوم في سجون آل خليفة توجد سياسة الموت البطيء، الأمراض تنتشر داخل السجن، والمعتقل الذي يطالب بالذهاب للعلاج عليه أن يمر بتحدٍّ كبير للحصول على أقل حق يطالب فيه وهو عرضَه على الطبيب، يجب على المعتقل المريض أن يضرب عن الطعام، ويجب على اصدقائه داخل السجن أن يتضامنوا معه في إضرابه عن الطعام، ولا تتوقف القضية عند هذا الحد، بل في كثير من الأحيان تأتي إدارة السجن وتأخذ الشخص المريض الذي يطالب بعرضِه على الطبيب وتضعه في الزنزانة الإنفرادية ويتهمونه بتحريض السجناء على التمرد داخل السجن!! هذه المفارقة الغريبة ؟!" ويضيف: "خلال فترة وجودي في السجن كان السجانون من أعتى البشر، سجناء من مختلف الجنسيات يتواجدون داخل السجن وينظرون إلينا بنظرة طائفية ويتعاملون معنا وكأننا "إرهابيون"، بل دائماً ما كانوا يوجهون إلينا هذا الكلام " إنتم إرهابيون" لكن الحقيقة هم "الإرهابيون" الذين يتلبسون لباس النظام والدولة".

ممارسات التعذيب والحرمان لم تكسر ارادة شباب آمنوا بقضيتهم

قد يتراكم غبار النسيان على الكثير من الحوادث التاريخية وتغطي أتربة السنين جزءاً منها، إلاّ أن بعض الحوادث تبقى تشعّ في النفس الإنسانية ولا تنطفئ أبداً، لكنها تنفض عن نفسها غبار التاريخ، لتواكب بعض الحوادث حركة التاريخ بل وأن بعضها يصنع التاريخ وتحطم قضبان الزمن، من الماضي الى الحاضر لتصل الى صناعة المستقبل، نكمل حديثنا مع محمد طوق ونستعيد معه أحداث العام ٢٠١٥ من الإنتفاضة وغيرها، ونذهب مع طوق في ذاكرته الى تلك الفترة حيث يقول: "أعتقلت في نهاية سنة ٢٠١٥، وكانت آثار انتفاضة سجن جو لا تزال موجودة الى حين وصولي الى سجن جو، فقد كان المرتزقة بشكل مستمر يعملون على إستفزاز المعتقلين بشكل دائم كي يُعارضهم أحد المعتقلين على التصرفات ويأخذوه للتعذيب، في كل ساعة كان يدخل أحد السجانين ويطلب منا الموقوف كما كان يطلب منا أن نناديه "سيدي"، ولم يكن هذا الوضع قائماً خلال النهار فقط، بل حتى في منتصف الليل وأثناء النوم كانوا يدخلون علينا ويصرخون على كل شخص يقف على رجليه، بل كان أكثر السجّانين يُريدون أن يُثبتوا الى إدارة السجن بأنه الأقسى في التعامل مع المعتقلين وفي تعذيبهم الى حدّ الدناءة، ومثال على ذلك، كان أحد المرتزقة من الدرك الأردني إسمه "مالك" يلقب نفسه "بالزعيم"، كان دائماً يقول (عندما يمر خيالي عليكم يجب أن تقفوا على أرجلكم وتقولوا "سيدي الزعيم") وغيرها من أمور استفزازية كثيرة، الى أن انتفضت "غرفة ٦" في "مبنى "١ صباح ذات يوم عندما دخل المرتزقة الى المبنى وقاموا بالصراخ (كل شخص يقف للحساب) ووقف المعتقلون للحساب وكان كل شخص يقول (واحد سيدي، إثنين سيدي الى آخره)... الى أن وصلوا الى غرفة "رقم ٦ " حيث تفاجأ المرتزقة بالشباب وهم جالسون دون أن يقفوا للسجانين، وأخذوا يصرخون بأعلى أصواتهم متسائلين: "لماذا لم تقفوا؟" قال أحد الشباب :" لن نقف وإذا أردتم الحساب، أنتم عليكم الحساب ونحن جالسين، ولن نقول "سيدي"، فكان هذا الكلام كافياً ليفنجر المرتزقة صراخاً قائلين: "أنتم تتمردون على القرارات، سنكسر رأسكم الآن"، حينها طلبوا تعزيزات من قوات المرتزقة ودخلوا المبنى بشكل جنوني، ولكن الشباب أصروا على موقفهم الشجاع في غرفة رقم ٦ ، بعدها إنتفض المعتقلون في الغرف المجاورة وثاروا بوجه المرتزقة وإرتفعت التكبيرات والضرب على أبواب الغرف، ما أثار الرعب عند إدارة السجن فخشيت من انتفاضة جديدة داخل السجن، وأدركوا تماماً بأن كل ممارسات التعذيب والحرمان التي مارسوها بحق المعتقلين لم تكسر ارادة المعتقلين، بل زادتهم قوة وتحدياً في مواجهة السجانين، وفي نفس الوقت إقتاد هؤلاء المرتزقة أربعة أشخاص من غرفة "رقم ٦" الى أحد الضباط البحرينيين في إدارة السجن، مع إصرار الشباب المعتقل بعدم الرضوخ للسجان بالوقوف لهم وقول "سيدي"، فكسروا بهذا الموقف غرور السجانين وإنتصر الشباب في هذا الموقف البطولي، في حين أن إدارة سجن جو كانت تعتقد بأنها أحكمت السيطرة على المعتقلين وكسرت إرادتهم في مواجهة السجان والظلم، وصدر قرار من الإدارة يُمنع مطالبة السجين "بالوقوف، والنداء الى الشرطة ب"سيدي".. هذهِ قضية بسيطة توضح للعالم بأن ظلام السجن وظلم السجان لا تحني شباب آمنوا بقضيتهم الحقة، وساروا على طريق الجهاد والمطالبة بحقوقهم في وجه الطغيان.

عذابات السجن قصص لا يتخيلها عقل ولا يتحملها بشر

الى الإنتفاضات والمظاهرات العديدة التي قام بها المعتقلون إنتقلنا في حديثنا مع طوق، يخبرنا محمد طوق، الشاب الثلاثيني اليوم، أنه لم يكن متواجداً في السجن يوم انتفاضة سجن جو، يقول: "كنت مطارداً في تلك الفترة من قبل جهاز أمن الدولة، ولكني أعتقلت بعد ٧ أشهر من الإنتفاضة المشهورة، وعند وصولي الى سجن جو المركزي استقبلوني استقبالاً حافلاً، قد يختصر الإستقبال بهذا التعبير "كانت حفلة من دون كيك"، كنت أتوقع بأن أحداً في السجن لم يتعرض للتعذيب الذي تعرضت له، إذ بقيت ثلاثة ايام لا استطيع المشي على قدميّ، وكانت عيوني متورمة وملامح وجهي تغيّرت، عندما كنت أتمدد للنوم لم أكن أدري على أي جنب أتمدد من كثرة وشدّة الألم، كنت أظن أن أقصى أنواع العذاب عشتها وحدي إلى أن سمعت معاناة وعذابات وآلام الشباب المعتقلين الذين إلتقيت بهم داخل السجن والإهانات والإعتداءات التي تعرضوا لها، فكانت كل هذه الأخبار تفوق العقل والتصوّر، ومن هذه العذابات، ماكان يمارسه الدرك الأردني الذين كانوا يأخذون المعتقل للتعذيب مستخدمين الهروات والأسلاك والعصي وكل وسائل التعذيب داخل السجون، وهنا استذكر قول أحد أصدقائي الذي أخبرني بأن الدرك الأردني كان يأخذ أحد المعتقلين أسمه "طالب علي" من جزيرة سترة، كنا نسمع صوت الضربات على جسمه ونسمع صراخ طالب، وبعد مضي ساعة فقط على التعذيب لم نكن لنسمع صوت طالب بل كان صوت الضربات على جسده هو ما يصل إلى مسامعنا، الى أن يحين وقت الفجر، كانوا يأتون به مجروراً فاقداً للوعي من شدّة الضرب، وكانوا يستخدمون الضرب مرة أخرى كطريقة لإيقاظه من اللاوعي... نعم هؤلاء السجانون مجرمون لا تأخذهم بالإنسان رحمة ولا إنسانية، حتى أن أحد الأردنيين كان يستخدم أسلوب الإذلال للمعتقلين، يأتي بالمعتقل ويعطيه نعال "شحاطة" ويقول له "هذه زوجتك احضنها وقل لها كلام جميل"، وهو يجلس على كرسي مقابل المعتقل ويضحك على هذا المشهد، أما الغضب الأكبر والعذاب حتى الموت كان عندما يرفض المعتقل تنفيذ هذا الأمر. كان على المعتقل الذي يطلب الذهاب الى الحمام أن يتحمل ما سيتعرض له داخل الحمامات من زحف على النجاسات والأوساخ، ويمكن القول بأن الدرك الأردني في سجن جو المركزي قاموا بتعذيب ومارسوا أموراً لا يستطيع المرء أن يتصور الدناءة التي وصلوا إليها، وكل هذا تحت مرأى ومسمع إدارة سجن جو